البحث رقم (٤)

الإشكاليات التصميمية في صحن مسجد الملك المؤسس عبدالله الأول

آيات علي العلاونة

مدرس – قسم الفنون التطبيقية – كلية القدس – المملكة الأردنية الهاشمية

وداد علي العلاونة

مدرس – قسم الفنون التطبيقية – كلية اربد الجامعية – جامعة البلقاء التطبيقية – المملكة الأردنية الهاشمية

سهير صلاح أبو الهيجاء

مدرس – قسم الفنون التطبيقية – كلية اربد الجامعية – جامعة البلقاء التطبيقية – المملكة الأردنية الهاشمية

م . محمد علي الصمادي

مدرس مساعد – هندسة عمارة – قسم الفنون التطبيقية – كلية اربد الجامعية – جامعة البلقاء التطبيقية – المملكة الأردنية الهاشمية

ملخص البحث

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الأسباب التي تجعل عمارة المساجد الحديثة بعيدة عن ملامح العمارة الإسلامية الأصيلة،علماً بأن العمارة الإسلامية راعت جميع الجوانب الوظيفية والبيئية والجمالية والروحية وخرجت بنتاج مدروس لم يظهر محض الصدفة، وهذا عن طريق دراسة الإشكاليات التصميمية في شكل الصحن في مسجد الملك المؤسس عبدالله الأول كنموذج للمساجد الحديثه في الأردن حيث تبين أن المسجد بشكل عام يعاني من بعض الإشكاليات التصميمية التي حالت دونه ودون ربط هذا المسجد بالتراث الإسلامي العريق. وأولها شكل المصلى الذي جاء على شكل ثماني بعيد عن الشكل الذي يجب أن يكون عليه صحن المسجد الداخلي وهو المستطيل لما له من شكل يتكيف مع وضع المصلين ويخلق رتابة في صفوفهم مع مراعاة أن يكون الضلع الأطول في جهة القبلة ويحتوي على المنبر والمحراب.وأن التصميم في الاعمده والأقواس والعقود لم يكن على نسبة هندسية فاضلة بل جاء بدون دراسة، عكس التصاميم للعقود المزينة لواجهات الأروقة في المساجد الإسلامية.

Abstract

The study aims to shed light on the reasons which make modern architecture of mosques far from original Islamic architecture features. Taking into consideration that Islamic architecture took into account all functional, environmental, aesthetic and spiritual aspects and the result of study was thoughtfully planned and it didn't happen by chance. This was done by studying the problem of design in the courtyard of king Abdullah mosque as a form and a model for modern mosques in Jordan where it was found that the mosque in general suffers from some design problems that made it hard to connect it with the Islamic heritage honored.

The first form of the problem is chapel which came in eight shaped form far from the form that should be which is rectangle, as it matches the position of prayers and creates a monotonous in their ranks, taking into account the longest side should be toward Qibla direction and it has a pulpit and Mihrab. The design in the columns, arches and contracts wasn't fine architecture rather it came out of no thoughtful study in opposition of designs for decades decorating the facades of the corridors in the Islamic mosques.

مشكلة الدراسة:

تعرض الدراسة مشكلة بحثية تمثلت في النقاط التالية:

- ما هي الإشكاليات التي تكمن في الأبعاد الوظيفية والفنية والجمالية التي أضافها الصحن في مسجد الملك عبدالله الأول
- ماهي الإشكاليات التصميمية في شكل الأروقة داخل الصحن في مسجد الملك عبدالله الأول.

المقدمة

نجد الكثير من المعماريين يعترضون بشدة على مسمى العمارة الإسلامية ... داعين أنها مصطلح فضفاض لا يستوعب أبداُ عمارة غطت أركان الأرض من مشارقها إلى مغاربها ، مفضلين الإشارة إليها بأنها عمارة فلسفية فكرية في المقام الأول تختلف في التشكيلات و التكوينات إلا أنها دائماُ ما تتفق حول الفكر و المنهج. ولا تنعكس العمارة الإسلامية في المساجد فحسب و إنما نجدها في شتى أنواع المباني وفى التصميمات الداخلية، و التصميمات الصناعية وحتى التخطيط الحضرى.

فلقد ولدت هذه العمارة من الجانب الوظيفى للتصميم، حيث أنها جاءت ضمن برنامج الاحتياجات الوظيفية للتصميمات من واقع ارتباط حياة المسلم الوثيقة بدينه، الأمر الذي شكل لنا هذا التنوع المذهل في العمارة الإسلامية من تنوع في المرادفات حيث جاءت ترجمة تلك الإحتياجات الوظيفية مختلفة بشكل كبير، فنجد العمارة الإسلامية في الأندلس مختلفة تماماُ عنها في الهند، كذلك في قلب أفريقيا عنها في الشمال ، في المغرب العربي عنها في مصر.

بمعنى أن العمارة الإسلامية ليست أصولية متحجرة لا تقبل التغيير، أنما هي في الأساس أكثر المناهج المعمارية تحرر ، فهي تماماُ مثل تصميم المنزل، فرغم أن كل المنازل تتشابه في برنامجها التصميمي، فيجب أن تتوافر به غرف النوم، والحمامات، وصالات إستقبال الضيوف و المطبخ .... إلخ. إلا أننا نجد عدد لا حصر له من التصميمات المختلفة لنفس هذا البرنامج ... أي أن هذا البرنامج لم يحد أبداُ من القدرات الإبداعية للمصمم، ولم يطالبه بتصميم ثابت لتحقيقه.

وبشكل خاص في المساجد، دائماُ ما نجد المصممون حالمون بتقديم العمارة الإسلامية بشكل جديد، أو إيجاد لغة للعمارة الإسلامية المعاصرة، ومنهم من ينجح ومنهم من يخفق، ومن اخفق فلقد اخفق في استيعاب ما سبق.

فأنت عندما تصلى بمسجد السلطان حسن بمصر، أو المسجد الأموي بدمشق، أو في أي مسجد في العالم، لا تستطيع أن تمنع نفسك من الشعور بهيبة وقدسية المكان، ولا بالراحة النفسية التي تنتابك من تأثير المعالجات البيئية الجميلة المتعمدة، ولا تخطئ عينك أبداُ معرفة وظيفة هذا المبنى من بعد بالرغم من الفروقات الحاسمة في التصميم ما بين كل هذه المباني.
فانتقادنا هنا في هذه الدراسة أو بمعنى آخر إظهار الإشكاليات التصميمية في بناء مسجد الملك عبدالله الأول ليس نابعاً من نقد في أساليب الحداثة في عمارة المساجد أو حتى في برهنة قلة خبرة المعماريين المصممين لهذا المسجد وخاصةً لو كانوا من غير الجنسية العربية، بل نابعا من إثبات قلة الوعي في أهمية الرجوع إلى التاريخ الأصيل وزيادة الاهتمام بتراث عربي إسلامي عريق في هذا المجال ثم دمجه بأساليب حديثه تضفي زيادةً في إبراز الروح الإسلامية في التصميم لا تعمل على قتلها.

***المسجد ولفظة الجامع.**

المسجد بالكسر اسم لمكان السجود، والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود والمِسجد بكسر الميم الخمرة وهي الحصير الصغير.
أما عن المسجد شرعا،فهو الموضع الذي يسجد فيه،قال الزركشي كل موضع يتعبد فيه هو مسجد،لقوله صلى الله عليه وسلم: (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهوراً)، ويفسر الزركشي السبب في اختيار كلمة مسجد لمكان الصلاة فيقول : لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد فيه من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل : مسجد ولم يقولوا مركع ، ثم أن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه.
أما لفظ الجامع فوصف للمسجد الكبير، فقد قال هشام بن عمار :لما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة.(6)
يتضح لنا من هذا النص أن الجامع هو المسجد الذي تؤدى فيه صلاة الجماعة صلاة الجمعة ولذا عرف بالجامع.ولما تأسست الدولة الأموية أصبح المسجد الجامع يشكل ظاهرة سياسية على جانب كبير من الأهمية فقد كان على كل أمير أو عامل من عمال الأقاليم إقامة مسجد جامع يمثل مسجد الدولة الرسمي، وإذا عرفنا أن ذكر اسم الخليفة في خطبة الجمع في

المسجد الجامع يكون شارة من شارات الخلافة، وأن عدم ذكر اسمه يعني خلعه، تبين لنا الدور السياسي بالإضافة إلى الدور الديني الذي كان ومازال يلعبه المسجد الجامع (١).

لم يبقى تصميم المسجد كما كان عليه في أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ،فلم يرضى الأمويين ان تقل مساجدهم روعة في التصميم عن الأبنية الدينية لغيرهم من الشعوب التي سبقتهم أمثال البيزنطيين، فأخذوا يغيرون في تصميم مساجدهم لما تقتضيه طبيعة البيئة التي خرطتهم بغيرهم من الشعوب وفنونهم المعمارية والتشكيلية.

ولم تقتصر وظيفة المسجد على أداء الصلاة فقط بل تعدتها إلى الوظيفة الثقافية فقد كانت تدار تحت أروقته وحول أعمدته حلقات الدروس والوعظ والإرشاد ، كما كانت تعقد فيه الجلسات لحل المنازعات الدينية ،كما كان به بيت مال المسلمين كما كان في المسجد الأموي ومسجد عمرو بن العاص وكان فيه جلوس متولي الحسبة، ومن هنا يفهم ان المسجد في العهد الأموي وبدايات العصر العباسي تقديراً كان يمثل دور الحكومة في مفهومنا الحديث إلى جانب الوظيفة الدينية الأساسية .

أما تخطيط المسجد ، فكان غالباً مربعاً في العراق وإيران ومستطيلاً في مصر والشام وشمال إفريقيا، وتعليل ذلك سهل،فأماكن العبادة السابقة على الإسلام في بلاد مابين النهريين كانت ذات تخطيط مربع ، أما في غرب العالم الإسلامي حيث كانت تسوده المسيحية فكانت كنائسهم معظمها ذات تخطيط مستطيل.(7)

***أسس تصميم المساجد**

عند بداية تأسيس الدولة الإسلامية بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، كان أول ما أمر به بناء المسجد، وكان المسجد هو نقطة انطلاق أساسية للمدينة المنورة التي كانت عاصمة الدولة الإسلامية في عهد الرسول.وبعد انتقال مقر الحكم إلى دمشق وبغداد وغيرهما من العواصم الإسلامية، كان أول ما بدئ به هو بناء المسجد نظرا لكونه نواة التخطيط في جميع العصور الإسلامية.

ومع زيادة رقعة الدولة الإسلامية، وامتداد مساحتها الجغرافية أخذ طراز عمارة المساجد في التنوع حسب البيئة التي يتم البناء فيها.(8)

عناصر ومكونات المسجد: (2)

المصلى:

وهو القسم الرئيسي في المسجد، حيث تقام الصلاة وتلقى الخطب ويتم تبادل الأفكار فيه

والتفكير في أمور المسلمين، والمصلى عادة ما يكون مستطيل الشكل، ضلعه الأطول في اتجاه القبلة، ويضم ضلع القبلة كل من المحراب والمنبر.

الصحن:

هو ساحة مفتوحة في وسط المبنى.

المنبر والمحراب:

من أكثر العناصر جدلا بين المحلل والمحرم فمنبر الرسول كان ثلاث درجات يصعدها ليخطب في الناس، فهذان العنصران أقيما بأشكال مختلفة منها ما هو مقبول ومنها ما هو مبالغ فيه كثيرا، ويجب ألا يقطع المنبر صفوف الصلاة وهذا أمر ممكن أن يجعل المنبر منزلقا وبعدد من الدرجات يكفي

لمشاهدة الخطيب من أطراف المصلى.أما المحراب فمساحته صغيرة بارزة في واجهة المسجد لاستيعاب الإمام، ولو لم يوجد محراب لاستأثر الإمام بمساحة صف كامل من المصلين.

المتوضأ:

كان جزءا منفصلا عن المبنى،ثم أصبح الآن جزءا منه،ويفضل أن نصل إليه في خط سير غير معترض لخط سير الداخل إلى المسجد،ويجب أن يكون ذي مساحة مناسبة بأرضيات وحوائط قابلة للتنظيف اليومي،وذي تهوية جيدة مع الانتباه لاتجاه الحمامات بحيث لا تكون في اتجاه القبلة.

المئذنة:

وهي السمة المميزة للمسجد في الشكل الخارجي ووظيفتها قديما النداء من أعلاها للصلاة.

النوافذ والفتحات:

من الأفضل أن تكون أعلى من مستوى نظر المصلي لتجنب انشغاله بما يجري خارج المسجد.

مكان وضع الأحذية، وبعض الملحقات كالمكتبة ومنزل صغير لخادم المسجد، ووحدة صحية(الحلواني)

الاعتبارات التصميمية للمساجد:

يعتبر المسقط المستطيل من أفضل المساقط على وجه العموم، وهو الغالب على أكثر المساجد المبنية، ويلاحظ عموما أن الضلع الأطول للمسجد يكون موازيا لحائط القبلة، لما يعطيه من تأكيد لاتجاه القبلة.يتم توجيه بيت الصلاة نحو القبلة، أو المسجد الحرام بمكة، أما

باقي عناصره فيتم توجيهها حسب الغرض منها، بحيث لا تؤثر على كفاءة التصميم للمسجد، كما يجب الأخذ في الاعتبار التأكيد على اتجاه القبل باستخدام شتى الوسائل المعمارية، مع إخلاء حائط القبلة من أية فتحات في مستوى نظر المصلين. يحتاج المصلي إلى مساحة صافية ١م٢، على أساس أن المساحة اللازمة في حدود ٠.٨×١.٢م تقريبا، وتختلف المساحة الكلية للمسجد حسب نوع الخدمة التي يقدمها، وبذلك تقدر بعدد المصلين، بالإضافة إلى مسطح الخدمات المطلوبة، مع العلم بأن المساحة المحددة لا تشمل الساحات الخارجية أو مواقف السيارات أو الملحقات غير التقليدية كبيوت الضيافة أو العيادات الطبية.تختلف مساحة الخدمات حسب نوع المسجد، فالمسجد المحلي يحتاج المصلي فيه إلى مساحة خدمات بمقدار ١.٢م٢، أما المسجد الجامع يحتاج فيه المصلي إلى مساحة خدمات بمقدار ١.٣-١.٤م٢.

يراعى في تصميم المنبر صغر الحجم، حتى لا يشغل حيزا كبيرا، ولا يؤدي إلى قطع الصفوف الأول للمصلين.

يراعى الحفاظ على طهارة المسجد في تصميم الميضأة ودورات المياه وتحديد مواقعها، ويتم حساب عدد ١ مرحاض و٢ صنبور لكل ٤٠ مصلي.

توفير عدد المداخل وأبواب المناسبة لمساحة المسجد، وأن تختار أماكنها حيث تيسر الدخول والخروج، ودون أن تؤدي إلى تخطي رقاب المصلين، وكذلك عزل مدخل النساء تماما عن مدخل الرجال. يفضل استخدام أسلوب إنشائي يسمح بتغطية فراغ بيت الصلاة دون استخدام ركائز داخلية أو بأقل عدد منها.

يراعى عموما البساطة وتحقيق معنى الصفاء والهدوء والتجرد في التشكيل الداخلي للفراغات وكذا التشكيل الخارجي لمسجد، مع التأكيد على معاني العلو والرفعة والسيادة في التشكيل العام للمسجد.

دراسة الصوتيات في المسجد، والتعمق في تحليل اتجاهاتها وقوتها، حتى يشعر المصلي في أي ركن في المسجد بالراحة التامة من الضوضاء، والسماع الكامل الواضح لعظات وصلوات الإمام. يجب أن يكون المسجد مضاء في جميع أركانه بضوء يسمح لقارئ القرآن الجالس على الأرض بالرؤية الواضحة لما يقرأ، حيث تجنب الإضاءات الخافتة.

أما عن استخدام الزخارف داخل المسجد، فيجب عند استخدامها مراعاة المواد الأولية لها مثل الرخام والخزف المتميزة بقوة السطح والعمر الافتراضي الطويل مقارنة بالمواد الأخرى، كما أنها سهلة التنظيف.(٢)

*** الصحن(الفناء الداخلي)(٣)**

تعريف الصحن :هو ساحة مفتوحة في وسط المبنى .يكثر استخدام الصحن في الدول العربية ويعتبر من الخصائص المعمارية المميزة لها، ومنها انتشر إلى مناطق أخرى مثل إسبانيا والفناء من فني، أي زال البناء في هذا المكان وهناك الفناء الداخلي وهو ما يقع داخل البيت أو المبنى، وهناك الفناء الخارجي وهو ما يحيط بالمبنى؛ لذا سمي الفراغ حول الكعبة فناء وأن الفناء الداخلي عبارة عن فراغ من فراغات المباني في المناطق ذات الطبيعة الاجتماعية والبيئية التي تتطلب وجوده داخل المبنى؛ ليحقق أهدافًا بيئية ونفعية وتشكيلية واجتماعية، وهذا في مضمونه يعني ضرورة تواجد الفناء بأبعاد محددة مهما اختلف المبنى في الموقع والمسطح والغرض الوظيفي نفس الفكرة حيث أن المناطق السكني(وكانت تسمى خططا)كانت تبنى من الأطراف أولا ويترك الوسط فضاء إلا أنه كان يسمى ساحة وهو أيضاً عبارة عن ساحة سماوية غير معقودة، وتكون محاطة بالسور أو النباتات، وغالباً ما تكون ساحة مبلطة وجزء منها يستعمل لزراعة أنواع من الأشجار، وتحتوي ساحة المسجد على الكأس "بركة دائرية الشكل يوضع فيها الماء تستخدم حولها مقاعد حجرية للوضوء .وصحن المسجد هو المساحة المكشوفة منه والتي تتصل بحرم المسجد أروقته وجدرانه الخارجية .

ويعرف الدليل الإرشادي لتصميم المباني الموفرة للطاقة الصحن "هو عبارة عن الفناء الداخلي الذي تحيط به الغرف ذات الاستعمال العام والخدمات والذي يمكن أن يصل إليها الضيوف وزوار البيت من الرجال ."ويتم زراعة الفناء بالنباتات والأشجار دائمة الخضرة التي تساعد على تحريك الهواء وتحريكه وترطيبه.

***الصحن تاريخياً :(٣)**

يعود استخدام الصحن إلى عصور قديمة كثيرة منذ بدء الحضارات، والتي سبقت عمارة مجتمعات المسلمين فقد ظهر الفناء الداخلي واستخدم في المباني السكنية والدينية، منذ العمارة المصرية القديمة، وفي عمارة بلاد ما بين النهرين، وفي العمارة الإغريقية، والعمارة الرومانية، والعمارة الفارسية، فقد وجدت بعض المنازل ذات الصحن في آثار الحضارات السورية القديمة في ماري و ايبلا في سوريا وكذلك في سومر وبابل في العراق ثم عمارة مجتمعات المسلمين، وهي المرحلة التي ظهر فيها نمط المباني ذات الأفنية الداخلية في هيئة جديدة؛ إذ وجد المعماري في ذلك الوقت في هذا النمط الكثير من المميزات التي تتوافق مع الفكر المعماري لعمارة مجتمعات المسلمين،

وخصوصا فيما يتعلق بتحقيق الخصوصية السمعية والبصرية، بجانب تحقيق الأهداف البيئية وخصوصاً في المناطق الحارة، كما أضاف المعماري للفناء الكثير من العناصر الجديدة مثل النباتات ونافورات المياه، والتي ساعدت على تأدية تلك الوظائف بجانب تحقيق النواحي الجمالية للمستخدم وظل استخدامها شائعا حتى منتصف القرن العشرين حين بدأ التأثر بالطرز الغربية في البناء .ويكاد الصحن يكون من العناصر المعمارية المشتركة في كافة الدول العربية من الشرق إلى الغرب ومن الأندلس وفي الريف والمدن، لا يستثنى من ذلك حتى البدو بالرغم من اختلاف التفاصيل.

تأثير المناخ على شكل الصحن :

قبل الخوض في الحديث عن الصحن يجب تعريف الراحة الحرارية :يقول العالم الفرنسي كلود برنارد(الحياة السعيدة الصحية) المريحة ممكنة طالما أن درجة حرارة الجسم الداخلية تبقى ثابتة

ضمن حدود دقيقة واحدة ""وهذا هو المبدأ في رد فعل جسم الإنسان على الظروف البيئية المحيطة به. كما يقول فانغر في كتابه (Thermal Comfort)"إن الارتياح الحراري هو حالة العقل التي تعبر عن الرضى والقبول عن البيئة الحرارية المحيطة".كما يمكن القول بأنها تلك البيئة التي لا يستطيع المرء أن يحكم عليها بأنها باردة أو حارة، أو حالة من الاتزان الحراري في غياب أي شعور بعدم الارتياح ، وان العوامل التي تحدد الارتياح الحراري داخل المباني عبارة عن مجموعة من العوامل البيئية وتشمل درجة حرارة الهواء والرطوبة والإشعاع الشمسي المباشر وغير المباشر، وعوامل شخصية وتشمل الملابس التي يرتديها الشخص والنشاط البدني الذي يقوم به.

ويقارن ابن خلدون الفيلسوف المسلم في مقدمته الشهيرة واصفا تأثير المناخ على أخلاق البشر مقارنا بين أخلاق السودانيين وتصرفاتهم وبين أهل فاس المدين ذات الموقع الجبلي والمناخ المعتدل نسبيا ، فيصف السودانيين بأنهم يميلون إلى المزاجية والحدة في الطبع بينما يميل أهل فاس إلى الهدوء والحكمة والمسؤولية.

احترمت الأجيال السابقة المناخ كعامل حاسم ومسيطر في عمارتها وكانوا دائما يصممون مبانيهم منسجمة مع الطبيعة والمناخ محاولين الاستفادة قدر الإمكان مما توفره لهم من إمكانيات هائلة لتحقيق بيئة مريحة مناسبة لحياتهم والتاريخ يذخر بالأمثلة التي تؤكد حقيقة احترام الإنسان للمناخ وتعامله معه كثابت وعامل حازم في بناه وعمارته .والبيت العربي ذو

الحوش الفناء الداخلي الذي ينتشر في الشام وفي العراق يمثل نموذجاً عن كيفية تعامل الإنسان القديم مع المناخ في المناطق الحارة الجافة.وإذا كان تعدد المناطق المناخية واختلافها قد أوجد أنماطا معمارية مختلفة، فقد لوحظ أيضاً تماثل العديد من العناصر المعمارية في المناطق المتشابهة معمارياً مع اختلافات بسيطة تلحق بالثقافة والفكر السائد في هذه المنطقة أو تلك.ولعل أقرب مثال على ذلك هو البيت العربي ذو الفناء الذي اعتمد الباحثون على تسميته بالبيت العربي.

القيمة الجمالية والروحية :(٣)

يقول المعماري حسن فتحي"المعماري العربي الوحيد الذي نجح في اجتذاب السماء للإنسان وتقريبها إليه، هنا حيث السماء والأرض في عناق مستمر لا مثيل له إلا في البيت العربي".فالإنسان بطبيعته يرغب في الاتصال بالفراغ الخارجي أينما وجد داخل المبنى،وبدون التأثير على مطلب الخصوصية، فهو يرغب في أن يعيش حرا بمشاعره وأحاسيسه وبالتالي فإنه لا يفضل أن يحجبه شئ عن المحيط الخارجي، ولأن الفناء في نمط المباني ذات الأفنية الداخلية يمثل عوضا عن الفراغ الخارجي، بل أكثر من هذا،حيث تتحقق له الخصوصية السمعية والبصرية بتخصيص هذا الفناء لمسكن أو مبنى واحد إداري–تجارى ... الخ

،فإن العلاقة الفراغية بين الفناء ا لداخلي والفراغات المطلة عليه ذات نمط خاص، فإذا كان المسجد يمثل مركز الالتقاء الروحي والثقافي لسكان، وساحة المسجد الداخلية مقر لتجمعات السكان لممارسة أنشطتهم الاجتماعية والجماعية، وملتقى للجماهير لتتلقى توجيهات الحاكم أو الوالي فالتصور المنطقي أن تلك المهام لازال المجتمع بحاجة لممارستها اليوم فلماذا لا توجد في العمارة المعاصرة

القيمة الاجتماعية والثقافية والوظيفية للصحن :

أن الفناء الداخلي عبارة عن فراغ من فراغات المباني في المناطق ذات الطبيعة الاجتماعية والبيئية التي تتطلب وجوده داخل المبنى؛ ليحقق أهدافًا بيئية ونفعية وتشكيلية واجتماعية، وهذا في مضمونه يعني ضرورة تواجد الفناء بأبعاد محددة مهما اختلف المبنى في الموقع

والمسطح والغرض الوظيفي ويؤكد على ذلك عبد الباقي إبراهيم بقوله"لما كان المسجد يكون جزءاً هاماً من الكيان الاجتماعي للمدينة العربية فيجب إعطائه الاعتبار الكامل في تخطيطها العام بحيث لا تقتصر وظيفة المسجد على كونه مكان لعبادة فقط بل مركزاً للنشاط الثقافي والاجتماعي للسكان" كذلك يستفاد من الصحن في استيعاب المصلين إذا زادوا عن طاقة حرم

المسجد وفي المساجد الكبيرة كالمسجد الأموي في دمشق ومسجد ابن طولون في القاهرة أقيمت في صحنيهما قباب صغيرة ذات أبواب مقفلة وضعت فيها خزينة الدولة.

***الرواق(١) :**

الرواق في اللغة بكسر الراء وضمها: بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد طويل، ورواق البيت: مقدمه، ورواق الليل: مقدمه وجانبه، ورواق العين: حاجبها، والرّوْق من القوم السيد المقدم فيهم، ويقال ضرب فلان روقه ورواقه: أي نزل وبنى بيته، وفي هذا المعنى جاء الحديث الذي روته السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ضرب الشيطان روقه ومدّ أطنابه) أي استحوذ وتمكن.ويقال . على ندرة . رأيت من السحاب رواقاً: أي مقدما وطرفا... كما يقال: روّق البيت: أي جعل له رواقاً، وجمع الرواق أروقة ورُوْق.

ويطلق الرواق على سقيفة للدراسة في مسجد أو معبد أو غيرهما كما يطلق على ركن في ندوة أو منظمة للتلاقي والتشاور...كل ذلك من معاني الرواق اللغوية.

أما الرواق كمصطلح مساجدي فإنه يعني الأجنحة التي تحاذي جنبات صحن المسجد أي أنها بناء يضاف إلى جوانب المسجد مما يلي صحنه، وعادة يكون ذلك البناء تحت قباب مرفوعة على أعمدة عالية أو أسقف ممتدة، وقد تشمل بهذا العموم أجزاء مما يسمى (بيت الصلاة) أو الحرم الداخلي للمسجد.

وقد لجأ المسلمون إلى بناء الرواقات عند إرادة توسعة المساجد وإضافة مساحات زائدة إليها، مع رغبتهم في إيجاد الظروف المناسبة لبعض الخدمات والأنشطة التي يقوم بها المسجد أو يحتضنها.

مسجد الملك عبدالله بن الحسين (1)

***التعريف بالمسجد**

أنشئ المسجد في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية على قطعة أرض وقفية مساحتها إثنا عشر ألف متر مربع، ثم قامت وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية باستملاك بعض الأراضي المجاورة ليصبح مجموع مساحات قطع الأراضي المخصصة لهذا المسجد ثمانية عشر ألف متر مربع. **الشكل (١)**

تم إنشاء المسجد على مرحلتين:

المرحلة الأولى: استغرقت أعمالها ثلاث سنوات وسبعة أشهر اشتملت على إنشاء هيكل المسجد بجميع عناصره من بناء صحن المصلى وقبة المسجد والمكتبة ودار القرآن الكريم والمقصورة الملكية والمئذنة الأولى وسكن الإمام وسكن المؤذن وقاعة اجتماعات رئيسية وقاعتين لاجتماعات لفرعية وصالون استقبال وغرف لإدارة المركز ومصلى للنساء ورواق المسجد ومواقف السيارات وجميع ملحقات هذه المرافق.

المرحلة الثانية: تم في هذه المرحلة معالجة الجوانب الفنية من تكسية قبة صحن المسجد من الداخل بقبة خشبية داخلية وذلك لمعالجة الصدى الصوتي داخل المسجد ولإضفاء رونق خاص عليه، بالإضافة إلى الأعمال المرتبطة بالثريا الرئيسة والإنارة التلفازية داخل صحن المسجد وقاعة المؤتمرات الرئيسة والإنارة الداخلية والثريات الأخرى لبقية عناصر المسجد، وكذلك ما اتصل ن هذه الأعمال بالمشربيات لخشبية والمنبر والأثاث والسجاد والرخام المشغول والأسقف الجصية المزخرفة وكلها على النمط التراثي العربي الإسلامي.كما تم إنشاء مئذنة وقبة جديدتين تناظريين المئذنة والقبة القائمتين أصلاً بالمسجد.

دراسة وصفية تحليلية نقدية للصحن في مسجد الملك عبدالله ونتائجها (4)

***وصف الصحن في مسجد الملك عبدالله**

عبارة عن ساحة مكشوفة ثلاثية الأضلاع بدون الضلع الذي يشكل واجهة المصلى مساحتها ٢٠٤٥م٢ يكتنفها رواق مسقوف مساحته (١٠٠٠)م٢ ،نقشت على واجهته الداخلية آيات قرآنية من سورة الرحمن،يتسع هذا الرواق ولساحات المكشوفة لـ (٦٠٠٠) من المصلين ،كما يتضح في المخطط التالي :الشكل (٢)

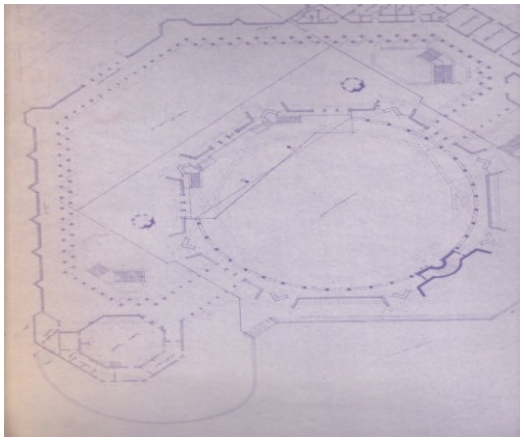

الشكل (٢) مخطط للطابق الأرضي للمسجد يتضح فيه حدود الصحن

الإشكاليات التصميمية في صحن المسجد

إن من وجهة نظر الباحث أن المسجد بشكل عام يعاني من بعض الإشكاليات التصميمية التي حالت دونه ودون اتصال هذا المسجد بالتراث الإسلامي العريق. وأولها شكل المصلى الذي جاء على شكل ثماني بعيد عن الشكل الذي يجب أن يكون عليه صحن المسجد الداخلي وهو المستطيل لما له من شكل يتكيف مع وضع المصلين ويخلق رتابة في صفوفهم مع مراعاة أن يكون الضلع الأطول في جهة القبلة ويحتوي على المنبر والمحراب.وقد ذكرنا في الإطار النظري لهذه الدراسة أن المخطط المستطيل للمسجد كان سائدا في البلاد التي سبقتها الديانة المسيحية قبل الإسلامية فأخذوا عنهم الشكل المستطيل في تشييد كنائسهم أما عن التخطيط المربع فد ساد بلاد العراق والأماكن التي سادت فيها حضارة بلاد الرافدين فقد اقامو معابدهم وبيوتهم على التخطيط المربع فأخذوا عنهم المسلمون الشكل المربع في المسجد.

ولعل ذكر هذه الإشكالية كانت ضرورية بالنسبة لمسار البحث وهذا لما لها من تأثير واضح على شكل الصحن الخارجي للمسجد

الشكل (٣) شكل الصحن في المسجد

لأنه لو كان صحن المصلى مستطيلاً لأعطى مجالا للصحن الخارجي أن يكون في الشكل المستطيل وهو من الأشكال المحببة لصحن المسجد في العمارة الإسلامية،حيث وجوده في هذا الشكل المضلع يحسس الداخل إلى المسجد بأنه مجرد ساحة غير منتظمة بقيت من مساحة الأرض التي أقيمت فيها المرافق فاستغلوها في صحن المسجد. إذا شكلها غير مريح للناظر ولا يعطي إحساس بالراحة والاستقامة والوقار الذي تحس بها عند دخولك إلى أي مسجد آخر بسبب الإرباك في شكله المضلع الغير منتظم.كما يظهر في الشكل رقم(٣) بالإضافة إلى الناحية الوظيفية فلقد تم ذكر الفائدة والوظيفة المرجوة من وجود الصحن في المساجد في الفصل الأول من هذه الدراسة بأن له أهمية اجتماعية وظيفية ويعتبر مركز نشاط فوجوده بهذا الشكل لا اعتقد بأنه يلائم مثل هذه النشاطات كونه غير منتظم الشكل ولا يوحي بشكل مناسب للتجمعات وحتى لغرض أداء العبادة(الصلاة).

ولو حاولنا مقارنة تخطيط وصحن هذا المسجد مع مساجد أخرى أخذت شكل المربع أو المستطيل فسنتحدث في هذا المجال عن جامع إبن طولون. والشكل(٤) يوضح مخطط لهذا الجامع.

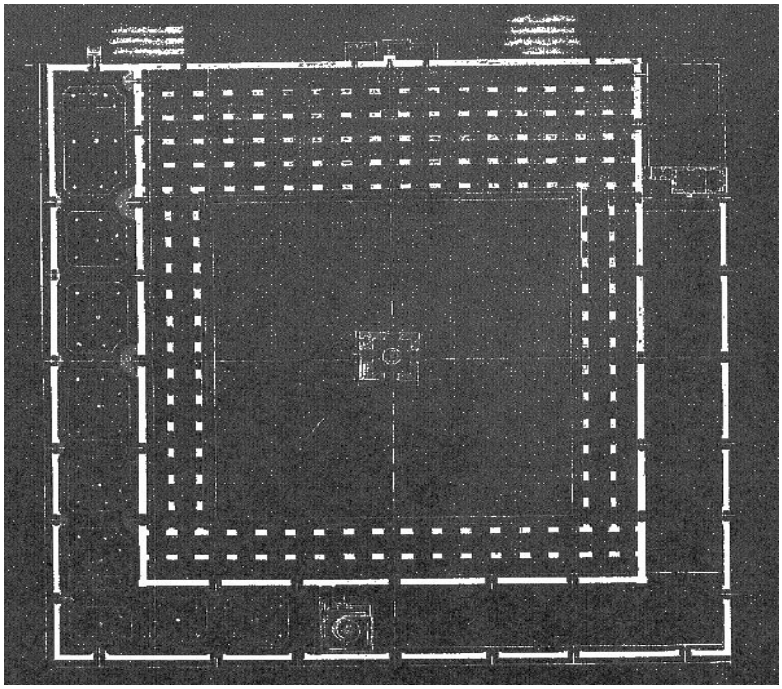

الشكل(٤) جامع ابن طولون

من المعروف أن أحمد بن طولون خليفة حول مدينة الفسطاط لما ضاقت بأهلها إلى مدينة القطائع لتكن أول مدينة إسلامية بنيت في وادي النيل يحكمها أحمد بن طولون الذي نشأ في قصر الخلافة العباسية من صغره فأخذ الكثير من تخطيط وطابع المدن العباسية التي اقتبست الكثير من حضارة بلاد الرافدين ،ولما كان يصلي في الجامع القديم الملاصق للعسكر فأحس بأنه ضاق به وبالمسلمين فقرر بناء جامعه الجديد الشكل (٥) الذي قال فيه(أريد أن أبني بناءاً إن احترقت مصر بقي ،وإن غرقت بقي).

يتكون الجامع من شكل مربع تقريباً ول ضلعه١٦٢.٥ *١٦١.٥ مترا ويتوسطه صحن مكشوف يبلغ طول ضلعه٩٢.٥ * ٩١.٨٠ مترا

الشكل(٥) الصحن في مسجد إبن طولون

نلاحظ في هذه الصورة الفسحة التي أضافها

الشكل المربع للصحن للمصلي والإحساس بسعة وقدسية المكان الذي يدخل إليه المصلي لأداء صلاته فلا بد أن يشعر بأنه انفصل عن البيئة المحيطة بفضاءٍ جديد يحس بعظمته وفسحته حين يقارن وجوده في هذا المكان مع وجوده في أي مكان آخر مثلاً في منزل أو سوق ،فسيجد النسبة بينه وبين مرافق هذا المكان(البيت أو السوق)قريبة بينما سيحس بالفرق الكبير في النسبة نفسها في ساحة المسجد وهذا مطلوب في المساجد من باب قدسية المكان الذي يقف فيه الزائر أو المصلي (5)،وفي الحقيقة أن هذا الشعور قد افتقر اليه الداخل إلى صحن مسجد الملك عبدالله .

إن الفكرة الفلسفية لفناء المسجد كما ذكرنا سابقا هي إلتقاء حرم المسجد مع السماء بعناق جميل، فنجد المساجد تعلو جدرانها الخارجية مع بواباتها لتغلق على جو المسجد عن أي محيط خارجي وتربطه بالسماء عن طريق الصحن المفتوح السقف(٣)، بينما نلاحظ في صحن مسجد المؤسس أنه صحيح مفتوح ذو فناء ولكن إذا لاحظنا في الشكل(٦) اكتظاظ الصحن بالعالم الخارجي عن طريق بوابة قصيرة مصنوعة من المعدن المفرغ الذي يكشف الشارع العام ويطل عليه ولا ننسى بأن المسجد أقيم في وسط ضوضاء واكتظاظ وليس هذا هو المأخذ فمسجد إبن طولون ذكر أنه كان قريبا أو ملاصقا للسوق والأحياء لكن عولج بطريقة فصلته عن المحيط الخارجي وأعطته خصوصية المكان ،الأمر الذي افتقر إليه مسجد الملك عبدالله.

الشكل (٦) اختلاط جو فناء المسجد مع الجو المحيط

وهنا مثال على مدخل من المساجد القديمة وهو مسجد الرفاعي، نلاحظ الخصوصية في المكان من تصميم المدخل.الشكل (٧)

الشكل (٧) مدخل مسجد الرفاعي

***محاولة تحليل نسب الصحن**

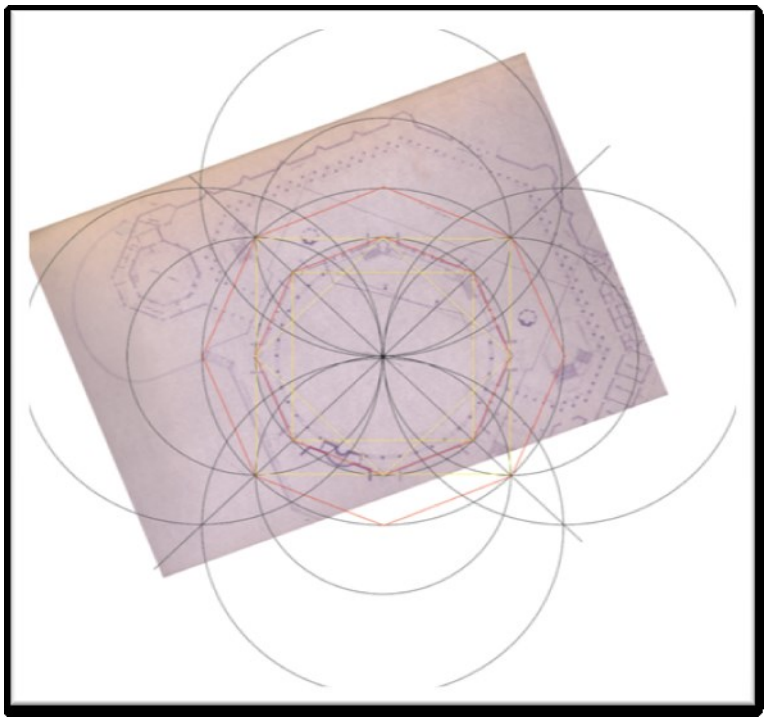

الشكل(٨) تحليل هندسي لشكل الصحن

بعد عملية تحليل المخطط لصحن المسجد نتج الآتي:

يأخذ صحن المصلى الشكل الثماني ويشكل الصحن الخارجي مع الأروقة اللذان جاءا من الجهة الأمامية للمصلى النصف المضاعف من المصلى،فشكل الصحن الخارجي هو نصف الثماني ،لم يستطيع الباحث أن يدرس الأجزاء الخلفية التي تأتي في ظهر المصلى نظراً لنقس المخطط من هذه الأجزاء حتى تتم دراسة نسبة الصحن مع المسجد كاملاً.الشكل (٨)

***الأروقة (٤)**

نلاحظ في مخطط المسجد أنه أحتوى على أروقة في الثلاث أضلاع ماعدا الجهة الخارجية لصحن المصلى مسقوفة ومساحتا ١٠٠٠م٢،والصور(١١،١٢)توضح واجهة من هذه الأروقة وهي المقابلة لصحن المصلى وجاءت على جانبي المدخل الرئيسي للمسجد .

الشكل (٩)

الشكل (٩)صوة توضيحية لأحد واجهات الأروقة في الصحن

الشكل (١٠)صورة توضيحية لأحد واجهات الأروقة في الصحن

مع أنه من المعروف أن في نظام عمارة المساجد الإسلامية تكون جهة القبلة من الصحن أو المحاذية للمسجد هي منطقة الرواق الرئيسي أو الذي يشغل اهتمام المصمم كما في مسجد الأموي مثلاً ما حظيت به هذه الجهة من معالجة زخرفيه فسيفسائية(٩)، أما في مسجد المؤسس أكتفت هذه الجهة ببعض الأفاريز البارزة ومجملة بآيات قرآنية ولم تحوي رواقا. وأنه لمن المنطقي أن المساحة لا تسمح أصلا بوجود رواق في جهة القبلة بالإضافة إلى أن التصميم مضلع فستطيق مساحة الفناء المتبقي من الصحن فالإشكالية هنا جذرية نابعة من كيفية تخطيط المسجد،الشكل (١٠).أمثلة على رواق القبلة في أحد المساجد وهو الأزهر،حيث يعتبر أعمقها فيحتوي على خمسة صفوف من العقود الشكل (١١) .

الشكل (١١) رواق القبلة في الجامع الأزهر

وهناك نقطة مهمة لابد من الحديث عنها في شكل الأعمدة والأكتاف في مقدمة الرواق فكما نلاحظ في الشكل (١٢)إنها أخذت شكلاً هندسيا فقد انتهى كل عمود بكتف له سماكة متزايدة حتى تصل إلى نقطة التقائها مع الأفريز الذي زين بالخط.

الشكل(١٢) الأعمدة والأكتاف في صحن مسجد المؤسس

ومن المعروف أن الخطوط الهندسية في التصميم لها رمزيتها وتأثيرها السيكولوجي على المشاهد فهي توحي بالتوتر وعدم الإرتياح عكس الخطوط المنحنية والقوسية التي توحي للنفس بالراحة والهدوء وهو الشعور المطلوب في حرم المسجد ولو كان الناظر من زاوية أخرى لأحس بضوضاء المكان وتوتره كما في الشكل(١٣).

الشكل(١٣) توضح زاوية نظر مختلفة إلى الأكتاف والأعمدة

أما في مسجد إبن طولون مثلا نرى الراحة التي تسببها أشكال العقود المنحنية كما ذكرنا سابقا في واجهات الأروقة (١)،بالإضافة إلى الأفريز ألزخرفي الذي جاء في أعلى العقود تصميم متناغم جميل يوحي في النفس البهجة والسرور انظر الشكل(١٤)

الشكل(١٤) الأعمدة والعقود التي تزين واجهات الأروقة

فلو اقترحنا أن تكون الأروقة واجهاتها مصممة بفكرة تناسب وظيفتها أكثر من الشكل التي هي علية لرجحنا هذا التصميم التالي مثلاً كما في الشكل (١٥ ،أ+ ب) :

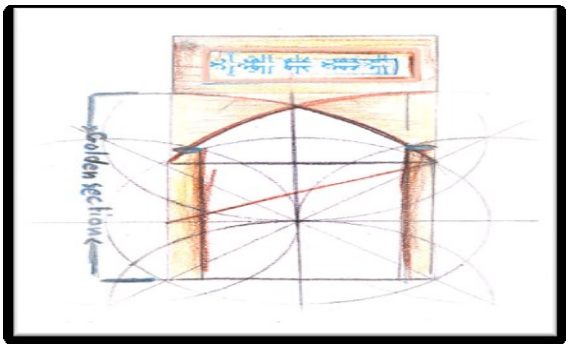

شكل(أ)

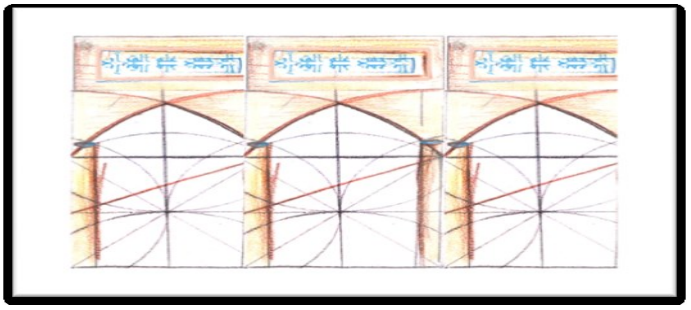

شكل(ب)

الشكل (١٥)أفكار تصميمية لواجهة الرواق في مسجد الملك المؤسس

ونلاحظ هنا أن التصميم بني على وحدة النسبة الذهبية (أي قائم على نسبة هندسية فاضلة) كما إن كثير من الأروقة تنتهي عقودها بصف من العرائس التي تأكد التقاء الفضاء المتمثل بلون السماء الأزرق مع عناصر التصميم المعماري في الصحن بنغم جميل ومثل هذه اللمسات افتقرت إليها أروقة مسجد المؤسس. والشكل(16) الآتي من نفس مسجد ابن طولون

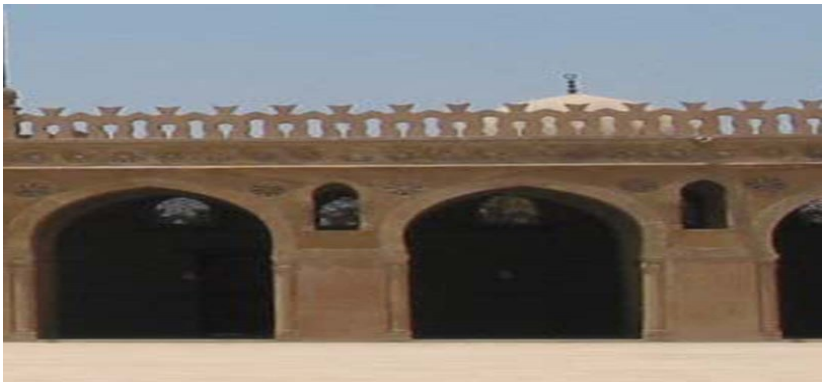

الشكل (١٦) مسجد ابن طولون

***تحليل نسب الأعمدة مع الأكتاف في مسجد الملك المؤسس**

بعد محاولات لتحليل النسب نتج الآتي :

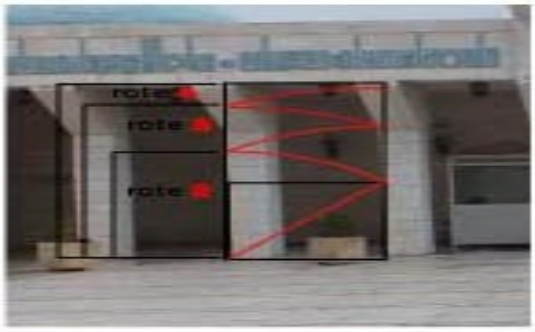

الشكل(١٧) الأعمدة مع الأكتاف في مسجد الملك المؤسس

تبين أن التصميم لم يكن على نسبة هندسية فاضلة بل جاء بدون دراسة الشكل (١٧) ، عكس التصاميم للعقود المزينة لواجهات الأروقة في المساجد الإسلامية ونأخذ مثلا ابن طولون عندما قمنا بتحليل نفس الحالة فيه(٢) نتج الآتي الشكل (١٨) :

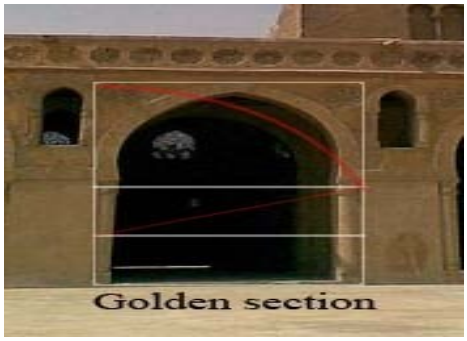

الشكل(١٨) الأعمدة مع الأكتاف في مسجد ابن طولون

أن الوحدة التصميمية التي أنشئ منها تصميم الأعمدة مع العقد النسبة الذهبية، ولعل هذا ما يسبب الراحة والمتانة في النظر اليها. ومن الجدير بالذكر إن المساجد القديمة كانت تحوي في صحونها عنصر مهم وهو الميضأة كما ذكرنا في الفصل الأول في الاعتبارات التصميمية للمساجد، ولاحظنا خلو صحن مسجد المؤسس من الميضأة فقد كانت داخلية من ضمن المبنى وليست خارجية ولعل وجودها في الخارج يسبب لها التهوية والجو المناسب ،بالإضافة إلى بعض نوافير المياه التي كانت تجلب أجمل الأجواء إلى صحن المسجد(٧) فقد قال تعالى ((وجعلنا من الماء كل شيء حي)) صدق الله العظيم.

التوصيات

- يجب أن يكون المعماري المصمم على وعي وثقافة واسعة في تاريخ العمارة الإسلامية حتى يستطيع التوفيق بين القديم والجديد
- إن هناك اعتبارات تصميمية ومبادئ من المهم أن لا نخل بها عند تصميمنا للمساجد الحديثة لأنها تحمل معاني جمالية روحانية وليست فقط وظيفية.
- ضرورة رفع الوعي لدى السكان لتعميق إحساسهم بالأهمية البيئية والمناخية والأهمية الروحية والإنسانية لصحن المسجد.

قائمة المراجع :

١- سعاد ماهر- 1971- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون – ج١- دار الأهرام.

٢- محمود الحلواني – العناصر المعمارية للمسجد(عناصر العمارة الإسلامية) – ملتقى المهندسين العرب – http://www.arab-eng.org/vb/ .

٣- عبد الكريم محسن – صحن المسجد ودوره في إحياء العمارة التقليدية في المساجد الحديثة – ٢٠١٠.

٤- منشورات مسجد الملك المؤسس عبدالله بن الحسين

٥- أبو صالح الالفي – د.ت – الفن الإسلامي اصوله فلسفته مدارسه- ألطبعه الثانية- دار المعارف- لبنان.

٦- عاصم رزق – ٢٠٠٠- معجم مصطلحات ألعماره والفنون الإسلامية-مكتبة مدبولي- القاهرة.

٧- عبد العزيز كامل – ١٩٨٩- الفن الإسلامي بين الدين والإبداع- الفنون الاسلاميه/أعمال الندوة العالمية المنعقدة في اسطنبول نيسان-١٩٨٣- دار الفكر- دمشق.

٨- كريسول- ١٩٨٤- الآثار الإسلامية الأولى – ترجمة عبد الهادي عبلة- دار قتيبه- دمشق.

٩- حسن الباشا – ١٩٩٥ – التصوير الإسلامي في العصور الوسطى – دار النهضة العربية –القاهرة.